تجديد الخطاب الديني المعاصر

وانعكاساته على الأمن الفكري للمجتمع

بين التكييف السياسي والتوظيف الشرعي

أ.د. رعد حميد توفيق
الجامعة العراقية
كلية العلوم الإسلامية

م.م. نور علي إبراهيم
كلية الإمام الأعظم
(رحمه الله) الجامعة

Dr.raadhameed@yahoo.com

ISSN: 2071-6028

مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية
عدد
خاص بالمؤتمر
الدولي الأول
لجامعة الأنبار الموسوم
(الاعتدال في الخطاب الديني
والسياسي وأثره في تعزيز
التنمية المجتمعية)
١٠/٣١ - ١١/١
٢٠١٨ م
مجلة علمية فصلية محكمة

البحث رقم ٣
ISSN: 2071-6028

تجديد الخطاب الديني المعاصر وانعكاساته على الأمن الفكري للمجتمع بين التكييف السياسي والتوظيف الشرعي

أ.د. رعد حميد توفيق
الجامعة العراقية- كلية العلوم الإسلامية
م.م. نور علي إبراهيم
كلية الامام الاعظم (رحمه الله) الجامعة

ملخص باللغة العربية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين. ان العلاقة بين تكييف السياسة والخطاب الديني، هو ان هنالك الكثير من التيارات الإسلامية السياسية بمختلف أشكالها واتجاهاتها، تمتلك حضوراً فاعلاً في الحياة السياسية، وفي حياة المجتمع بشكل عام، وهي تطرح توجهاتها من خلال الربط والتلازم بين الإسلام كعقيدة وعبادات، وقيم وجدانية وأخلاقية، وبين مشروع الإسلام السياسي المتمثل بالدولة الدينية المبنية على أسس الشريعة الإسلامية، وهو الأمر الداعي لنشوء تلك المشكلة التي استثارت الباحثان لخوض غمار هذا الموضوع الحساس والخطير بالوقت نفسه. وبذلك تسعى تلك التيارات إلى احتكار التراث الديني لنفسها وتجييره لمصالحها السياسية وإضفاء القدسية على قراراتها وتوجهاتها واتفاقياتها السياسية وجميع ذلك يتم ترويجه إعلاميا باسم الخطاب الديني وضرورة التجديد فيه وخطورته تكمن في انسلاخ الخطاب الديني من روحه الدعوية التجديدية وانجراره خلف الأهواء السياسية والتكييفات الشخصية والحزبية وجعله أداة طيعة بيد السياسيين، بحيث أصبحت مختلفاتنا الدينية او الفقهية سلّم الإنقاذ لهم. ويهدف البحث الى التنبيه على اي خطاب إسلامي تقف وراءها منظمات سياسية او نفعية، اما أهمية البحث فتكمن في خطورة الخطاب الديني وما يمثله من أداة توجيه وتحريك للشعوب، وفي هذا البحث يتمنى الباحثان ان يكونا سلطا الضوء على أهمية الأمن الفكري للمجتمعات وما يمكن ان يلعبه الإعلام الديني من دور في تشكيل عقلية الأنسان وصياغة أيدولوجيته.

الكلمات المفتاحية: خطاب ، انعكاس ، تكييف

Renewing contemporary religious discourse and its impact on the intellectual security of society between political adaptation and legitimate employment

Prof. Dr. Ra'ad Hameed Tawfeeq
Ass. Teacher Noor Ali Ebraheem

Abstract The relationship between the adaptation of politics and the religious discourse is that there are many Islamic political trends in all their forms and trends. They have an active presence in the political life and in the life of the society in general. Through linking and linking between Islam as faith and worship, moral and moral values, and the project of political Islam represented by the religious state based on the foundations of Islamic law, which is the reason for the emergence of the problem, which prompted the researchers to enter into the subject of sensitive and dangerous Palo T. himself. Thus, these currents seek to monopolize the religious heritage for itself and to convert it to its political interests and to give sanctity to its decisions, orientations and political agreements, all of which are promoted in the name of religious discourse and the need to renew it and its danger lies in the dissolution of the religious discourse of its innovative religious spirit and its dragging behind the political fervor and personal and partisan adaptations But politicians, so that our religious or doctrinal differences became their lifeline. The researchers are starting to question the importance of the religious or religious aspects of religious renewal and its impact on the intellectual security of societies: What is meant by the renewal of religious discourse and how can it be a stabilizing element of the intellectual security of societies? The research aims at alerting any Islamic discourse behind political or utilitarian organizations. The importance of the research lies in the seriousness of the religious discourse and what it represents as a tool for guiding and motivating people.

Keywords: speech, reflection, adaptation

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين.

فان موضوع تجديد الخطاب الديني من المواضيع الفكرية القديمة التي طرحت (في بدايات القرن الثالث عشر الهجري أي القرن التاسع عشر الميلادي) عندما بدأ الاحتكاك بالحضارة الغربية في وقت عانى فيه المجتمع الإسلامي من تخلف فكري وعلمي مقارنة بالمجتمع الأوربي والحضارة الغربية مما أوجد شعور بالهزيمة دفع الكثير من المفكرين وعلماء الدين مجاراة الغرب محاولين تطبيق التجربة الغربية، (عندما أعلنت الطلاق بين الدين والسياسة) وسط دعوات الذين أشاروا بأصابع الاتهام إلى أن سبب تخلف الأمة هو الدين كونه أحكام جامدة وأصول ثابتة كانت محدودة بأطار زمني عالج قضايا معينة لا تتناسب مع الحياة المعاصرة ولا تواكب التطورات الحديثة.

وسط تلك الأجواء ظهرت دعوات التجديد في الخطاب الديني والتي لا تعدو ان تكون خارجة من جعبتين الأولى يرى أصحابها أن التجديد ضرورة شرعية وفكرية للحفاظ على الموازنة بين الدين والحياة العصرية قائمة على المزج بين معطيات الحضارة العصرية وفق ثوابت الدين الإسلامي.

أما الدعوات الأخرى التي خرجت من جعبة بعض الأدباء والمفكرين والسياسيين(حاليا) أعلنوا دعواتهم الاصلاحية والتجديدية، حسب رأيهم في تحرير المرأة ومحاربة الحجاب وتعطيل الجهاد ودعوات عزل الدين وحصر دوره في المسجد لا أكثر.

إشكالية البحث:

ينطلق الباحثان من طرح مشكلة لبحثهما عبر تساؤل مهم تواجدت فيه اشكالية الجانب التحريفي او التوظيفي للتجديد الديني ومؤثراته في الامن الفكري للمجتمعات، من خلال التساؤل الرئيس التالي:

ما المقصود بتجديد الخطاب الديني وكيف يمكن ان يكون عنصر استقرار للامن الفكري للمجتمعات؟

أهداف البحث

١. الاحتراز من الدعوات المشبوهة للتجديد بحجة محاربة الارهاب او تطبيق الوسطية الحائرة.

٢. التنبيه على اي خطاب اسلامي غير منضبط بضوابط التجديد المعتبرة، والتحرز من تلك الدعوات التي تقف وراءها منظمات سياسية او ليبرالية او تنصيرية ماسونية.

٣. تسليط الضوء على الجانب المعرفي للتجديد والتعريف به بصورة متأنية والتفريق بينه وبين التجديد الذي اتخذه بعض المغرضين لهدم احكام الدين وعزله وتغييره حسب اهوائهم وامزجتهم.

٤. بيان ان التجديد في الخطاب الديني ضرورة شرعية وليست مجاملة سياسية.

اما **اهمية البحث** فتكمن في خطورة الخطاب الديني وما يمثله من اداة توجيه وتحريك للشعوب وما يمكن ان يفعله في المجتمعات المسلمة، ومدى امكانية ان يوظف لخدمة غايات غير نبيلة (سياسية، حزبية، جهوية، مذهبية متطرفة، مناطقية متعصبة)، بعيدا عن الاستقلالية المتوخاة لكل تجديد اسلامي لخطاب ديني معتدل، وما يمكن ان يؤديه في تشعّب الراي العام المجتمعي حول قضاياه المصيرية.

منهجية البحث: انتهج الباحثان في بحثهما منهج التحليلي الوصفي للوصول الى اهداف وغايات البحث.

هيكلية البحث: قسم الباحثان بحثهما على ثلاثة مباحث وخاتمة

المبحث الأول: الفرق بين التجديد الشرعي والتحريفي، والمقصود بالامن الفكري.

المبحث الثاني: التكييف السياسي لتجديد الخطاب الديني

المبحث الثالث: تجديد الخطاب الديني ومقارباته التطبيقية على الواقع العراقي

المبحث الأول: الفرق بين التجديد الشرعي والتحريفي، والمقصود بالامن الفكري.

يروم الباحثان التركيز على الجانب التحريفي والفرق بينه وبين التجديد الشرعي المطلوب، لكن لابد من التعريف بشكل سريع لمفهوم التجديد الاسلامي والخطاب الديني بوجهيه وبصورة مختصرة جدا، كونه متناول كثيرا من حيث التعريف والتأصيل.

المطلب الأول: التعريف بتجديد الخطاب الديني

اولا: التجديد الشرعي

الخطاب الديني التجديدي بهذا التركيب الإضافي هو مصطلح جديد، ذاع في العصر الحديث، وأول من أطلقه الغرب، ولم يُعرف هذا الاصطلاح من قبل في ثقافة المسلمين، بمعنى أنه ليس مصطلحا له وضع شرعي في الإسلام كالمصطلحات الشرعية الأخرى مثل الجهاد والخلافة والديار والخراج... الخ، وإنما هو مصطلح جديد، اصطلح عليه أهل هذا الزمان.

والتجديد الشرعي هو محاولة احياء الدين في النفوس والمجتمعات حتى يكون مهيمنا، وحفظه كما يريد الله تعالى، ويتحقق التجديد بمراعات الأمور التالية:

أ- حفظ القرآن والسنة من التغيير والتحريف.

ب- حفظ القواعد الصحيحة التي تحقق الفهم الصحيح وتجديد الإيمان.

ت- أن يكون معلوما بين الناس يشار إليه بالبنان تشدّ إليه الرحال لطلب العلم(١)، وعلى هذا الفهم يكون التجديد في الخطاب الديني، وليس كما يحاول البعض ايهام الناس بان التجديد الذي دلت عليه النصوص الشرعية هو تغيير للأحكام حسب الامزجة والعقول البشرية، او بحجة معرفة العلة من التشريع في حكم معين وبالتالي يتغير الحكم الثابت بتغير العلة.

ثانياً: التجديد بمعناه المحرف.

وهذا النوع وان كان لبوس قديم إلا أن ألوانه تتجدد كلما بليَّ لون ظهر آخر، فمرة تحت مسمى الحداثة، ومرة يكون تحت مسمى تطوير الدين، أو المناهج، أو الخطاب الديني، أو عصرنه الدين او رؤية سياسية للدين وهكذا(٢)، وهذا النوع من التجديد المرفوض يدعو إلى تغيير الديني وتغيير أصوله لا تجديد العودة إلى الدين والتمسك بأولويات يفرضها الشرع تحت مظلة الواقع (فقه الواقع)(٣).

وإنما ينظرون إلى التجديد أنه تغيير الأحكام الشرعية مثل استبدال قطع يد السارق بالسجن لان الأصل -في رأيهم- العقوبة الرادعة وليس تطبيق الحكم، وإذا كان الحجاب الغاية

---

(١) ينظر: د. إسماعيل الحكيم، نحو خطاب دعوي معاصر ومتجدد، بحث مقدم إلى وزارة الأوقاف السودانية، الملتقى التنسيقي السابع للوزراء المعنيين بالدعوة لعام ٢٠١٢م: ص٤.

(٢) ينظر: نصر حامد أبو زيد، تجديد الخطاب الديني ضرورة معرفية الدكتور مجلة مركز الكاشف للدراسات، العدد الثالث، سنة ٢٠٠٦: ص١١.

(٣) يقول ابن القيم: (ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى و الحكم بالحق الا بنوعين من الفهم: احدهما فهم الواقع والفقه فبه ... والثاني فهم الواجب في الواقع وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه، او على لسان رسوله في هذا الواقع..)، اعلام الموقعين: ٨٧/١، نقلا عن علي بن حسن بن علي الحلبي، كتاب فقه الواقع بين النظرية والتطبيق، مطبعة النور، فلسطين، ط٣، ١٤٢٠هـ: ص٢٣.

منه العفة فلا بأس بتركه إذا حدثت العفة بدونه، وعلى هذا المنوال يروى التجديد في الدين ولاشك ان هذا دعوات باطلة تنم عن فهم ناقص للدين وأحكامه(١).

ثالثا: المقصود بالامن الفكري:

يعد مفهوم الأمن الفكري من المفاهيم الحديثة التي لم تُعرف قديماً في ثقافتنا الإسلامية بلفظها، وإن كان للشريعة الإسلامية رؤيتها في حفظ الدين والعقل.

ويعد هذا المفهوم ضمن سياق منظومة مفاهيمية متقاربة تتصل ببعضها، لتشكل بناءً متكاملاً لا ينفك بعضه عن بعض.

وفي محاولة لنظرة شاملة ومتكاملة فالأمن عبارة عن (مجموعة من الإجراءات التربوية والوقائية والعقابية التي تتخذها السلطة لحماية الوطن والمواطن داخلياً وخارجياً انطلاقاً من المبادئ التي تؤمن بها الأمة، ولا تتعارض أو تتناقض مع المقاصد والمصالح المعتبرة)(٢).

وجملة القول وبالتأمل في مصطلح (الأمن الفكري) من حيث مقتضياته وما يمكن أن يترتب عليه في المجتمع المسلم وما انتهى إليه الباحثون قي تعريفهم للأمن الفكري أنه يسعى إلى تحقيق الحماية التامة لفكر الإنسان من الانحراف أو الخروج عن الوسطية والاعتدال، وأنه يُعنى بحماية المنظومة العقدية والثقافية والأخلاقية والأمنية في مواجهة كل فكر أو معتقد منحرف أو متطرف وما يتبعه من سلوك.

رابعا: نشأة مفهوم الأمن الفكري

إن الانحراف الفكري ظاهرة تثير الدهشة وتحير العقول، ويستحيل منعها بصورة نهائية.

إلا أن الخالق سبحانه وتعالى أوجد حلولاً جذريةً من خلال كتبه ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد كان هدى الله هو الأمل في أمن الفكر واستقامة السلوك.

ولقد كان أول انحراف فكري ظهر في الكون هو انحراف إبليس حين رفض طاعة أمر الله له بالسجود لآدم. ففي الوقت الذي سجد فيه الملائكة كلهم، كان إبليس من الرافضين، حتى إن انحرافه أثر على آدم وزوجه عليهما السلام بما جعلهما يسمعان وسوسته ويقعان في الأكل من الشجرة حيث كان عندها الخروج من الجنة، على أن رحمة الله نالت بعد ذلك آدم وزوجه بعد أن تابا.

وتوالت مظاهر الانحراف الفكري عند أبناء آدم، وسوف تستمر إلى يوم القيامة وفق

---

(١) ينظر: الخطاب الديني بين التجديد والتبديد، د. جمال نصار، مركز الجزيرة للدراسات، قطر ٢٠١٥م: ص٨.

(٢) المفهوم الأمني في الإسلام، علي فايز الجحني، مجلة الأمن، الصادرة من وزارة الداخلية، العدد٢، ذي الحجة، ١٤٠٨هـ: ص١٢.

مستويات ودرجات متفاوتة[١].

إن استخدام وسائل العنف يعتبر مظهراً من مظاهر الانحراف الفكري ونتيجة حتمية لعدم تحقيق الأمن الفكري، وإن أسباب استعمال العنف أنواع متنوعة، وقد يكون على أجل الأسباب لطلب الملك والسلطان، وقد يكون على أتفه الأسباب كسباق الخيل والرهان.

ويرى المؤرخون الغربيون أن أقدم جماعة إرهابية عرفها التاريخ المكتوب هي حركة الورعاء اليهود في القرن الأول الميلادي ممن لجئوا إلى العنف المفرط في مواجهة الاحتلال الروماني[٢]، وقد عرفت الحضارة الإسلامية منه نماذج أساءت إلى القريب قبل البعيد، وإلى الصديق قبل العدو، ففي القرن الأول الهجري كان الخوارج ضئضئ[٣] الفرقة ومحتد الفتنة، فكفروا بالذنب، وأعلنوا ألا حكم إلا لله، ليحكموا السيوف في رقاب المسلمين[٤].

والحديث عن نشأة مفهوم الأمن الفكري يتضح في الآتي:

لقد تعرضت الأمة الإسلامية إلى محاولات من قبل أعدائها من اليهود والنصارى كان هدفها القضاء على الإسلام باعتباره شريعة ونظام حكم وحياة، وتفتيت الوحدة بين أبناء الأمة الواحدة وإثارة الفتن بين المسلمين وإضعاف دولهم، فبدأت بالحملات الصليبية العسكرية التي امتدت ردحاً من الزمن، ثم أخذ الغزو منحى آخر وهو التركيز على الغزو الفكري، والدافع إلى استخدام الغزو الفكري هو الحصيلة المرة التي خرج بها الصليبيون من حروبهم الصليبية الأولى مع المسلمين في القرنين الحدي عشر والثاني عشر الميلاديين، والتي انتهت بالهزيمة الساحقة وعدم تحقيق شيء مما خرج الصليبيون من بلادهم لتحقيقه، يقول لويس التاسع ملك فرنسا عد هزيمة حملته الصليبية: (إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده فقد هُزمتهم أمامهم في معركة السلاح، ولكن حاربوهم في عقيدتهم فهي مكمن القوة فيهم)[٥]، ولقد وعى قومه هذه النصيحة فبدأوا بالغزو الفكري.

ويتفق الكثير من الباحثين في مجالات الأمن المتعددة أن ظهور الإرهاب بكافة أشكاله

---

(١) ينظر: الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني، محمد شحاته الخطيب، بدون دار نشر، ١٤٢٦هـ: ٣-٤.

(٢) ينظر: سوسيولجية العنف والارهاب، ابراهيم الحيدري، دار الساقي ٢٠١٧: ص١٥٢.

(٣) ضئضئ: أي أصله وجنسه. انظر شرح صحيح مسلم للإمام النووي، في شرحه لحديث "إن من ضئضئ هذا قوماً يقرأون القران لا يجاوز حناجرهم.." كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه. دار الخير، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ، برقم (١٠٦٤).

(٤) ينظر: الإرهاب التشخيص والحلول: عبد الله بن الشيخ محفوظ بن بيه، مؤسسة الريان، ط٢، ١٤٢٦هـ، ص٩-١٠. (بتصرف يسير).

(٥) واقعنا المعاصر، محمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة، ط٢، ١٤٠٨هـ: ص١٩٦. (بتصرف يسير).

يعود في معظمه إلى عدد من العوامل منها ضعف الوازع الديني وتلاشي القيم الأخلاقية وفقدان العدالة الاجتماعية وسيطرة اقتصاديات الدول الغربية على الأسواق الاقتصادية وغيرها، أدت في مجملها إلى نشأة العديد من الأفكار المنحرفة، مما كان سببا في إدراك أهمية الأمن الفكري ودوره في تحقيق الأمن في جميع المجالات(١). كما ان التسلط السياسي والعرقي والتمييع للثوابت الديني وقولبتها حسب الرغبات المذهبية او السياسية من شانه ان يجعل المخالفين ناقمين ومعارضين بصورة او باخرى وباشكال عدة.

إن نهاية الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفييتي وظهور النظام العالمي الجديد أحدث تحولاً جذرياً في الساحة الدولية، وظهرت تحديات مختلفة ونتيجة لذلك تعرضت قيم المجتمعات والدول إلى أنواع متعددة من الضغوط والأخطار الفكرية المؤثرة على استقلالها وتطلعاتها، ومن هذه التحديات تعرض مفهوم الأمن باعتباره مفهوماً رئيسياً في العلاقات الدولية إلى التحول والتغير. فهذه التطورات دفعت مفهوم الأمن من المفهوم الضيق وهو الأمن العسكري إلى المفهوم الواسع ومن ضمنه الأمن الفكري الذي سيقود حتماً إلى تحقيق الأمن الشامل(٢).

إذن يلاحظ أن نشأة مفهوم الأمن الفكري والاهتمام به كان في فترة متأخرة – أقول نشأة المفهوم كمفهوم والاهتمام به والتأصيل له، وليس الاهتمام بتحقيق الأمن الفكري.

وفي السنوات المتأخرة ظهرت جماعات غلو وانحراف اتخذت منهج التكفير، وساروا على منهج أسلافهم الخوارج الذين يكفرون بالكبائر، فكان لابد من التصدي لهم بالأدلة والبراهين التي تثبت خطأ منهجهم فعقدت المؤتمرات والندوات وبرز أهمية التركيز على الأمن الفكري الذي سيقود حتماً إلى أمن المجتمع إذا استقام على المنهج الشرعي الوسطي الصحيح من غير إفراط ولا تفريط.

إذن نشأة المفهوم كانت في العصور المتأخرة بعد ظهور هذه التيارات التي اتخذت منهج الغلو والتكفير، فكان لابد من وقفة جادة في مواجهة كل التيارات والمذاهب والنظريات التي أزاحت العقل والفكر عن الطريق الصحيح.

---

(١) ينظر: الأمن الفكري: المفهوم، التطورات، الإشكالات: د. إبراهيم الفقي، ص ٣. بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري بتاريخ٢٢-٢٥ جماد الأول ١٤٣٠ هـ. كرسي الأمير نايف لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٤.

ISSN: 2071-6028

المبحث الثاني: التوظيف السياسي لتجديد الخطاب الديني

اصبح من البديهي القول ان العالم الاسلامي ولا سيما بعد الاحتلال الامريكي للعراق يمثل عالما سباقا للتخندق حول الاثنيات، وهذا التخندق ابصر النور عبر ولادة قيصرية اجبارية، اسهم فيها الاعلام الديني والخطاب الديني المؤدلج، ولم يأت بصورة طبيعية كحال اغلب التغيرات الديمغرافية في العالم بل خطط لها بصورة اريد لها ان تظهر للعلن بشكل طبيعي وذلك بهدف مبيت مسبقا.

فمن باب الخطأ والظلم ان نذكر جانب التمويع للخطاب الديني وما يقع عليه من تاثير على يد الساسة بلا تناول للحيثيات الرئيسة المتوخاة من هذا التكييف السياسي له، والذي لا يخدم الا اعداء هذه الامة او من وقع في شرك الانجرار وراء الشعارات الخداعة.

يرتبط هذا المبحث باخطر تحدي يواجه الاعلام الديني(وهو انسلاخه من روحه الدعوية التجديدية وانجراره خلف الاهواء السياسية والتكييفات الشخصية والحزبية وجعله اداة طيعة بيد السياسيين المنتفعين).

والعلاقة بين تكييف السياسة وتجديد الخطاب الديني، هو ان هنالك الكثير من التيارات الإسلامية السياسية بمختلف أشكالها واتجاهاتها، تمتلك حضوراً فاعلاً في الحياة السياسية، وفي حياة المجتمع بشكل عام، وهي تطرح توجهاتها من خلال الربط والتلازم بين الإسلام كعقيدة وعبادات، وقيم وجدانية وأخلاقية، وبين مشروع الإسلام السياسي المتمثل بالدولة الدينية المبنية على أسس الشريعة الإسلامية، كمصدر وحيد للتشريع. وهو الامر الداعي لنشوء تلك المشكلة التي استثارت الباحثَين لخوض غمار هذا الموضوع الحساس والخطير بالوقت نفسه، وبذلك تسعى تلك التيارات الى احتكار التراث الديني لنفسها وتجييره لمصالحها السياسية واضفاء القدسية على قراراتها وتوجهاتها واتفاقياتها السياسية وجميع ذلك يتم ترويجه اعلاميا باسم الخطاب الديني وضرورة التجديد فيه.

فعن أبي إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة يقول: (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأل عن الشر مخافة أن يدركني...) الحديث[١].

في هذا المبحث اختار الباحثان موضوعهما، عن الوجه الآخر لتجديد الخطاب الديني ومدى تاثره بالتكييف السياسي واثر ذلك التكييف في زعزعة الامن الفكري وانعكاسه على تنامي الارهاب، فموضوع التجديد من المواضيع التي أثير حولها الجدل فهي بين معارض لها ينظر

(١) أخرجه الامام البخاري في صحيحه في المناقب باب علامات النبوة في الإسلام برقم (٣٦٠٦).

إليها نظرة المرتاب من النيات التي تقف ورائها، ويظنها حرباً على الإسلام لنقض عراه عروة عروة، وبين فريق آخر يدافع عن التجديد ويؤصل له ويجده ضرورة فكرية وشرعية معاصرة ووسيلة من أهم وسائل مجاراة العصر بكل تطوراته وتقدمه التكنلوجي(١).

ومن هنا كان لا بد من الاشارة الى كثير من المجريات التي تمر على عالمنا الاسلامي المعاصر، واهمها تلك التوظيفات التي يقوم بها بعض من يدعون العلمية الدينية وما يقدمونه للمجتمعات المسلمة من تفسيرات للعصر الحالي بحجة تجديد الخطاب الديني والسعي لاعتداله وما يطرا عليه من حوادث تصب في خدمة بعض السياسات، **حيث اصبحت مختلفاتنا الدينية او الفقهية سلّم الانقاذ لبعض السياسيين او بعض المنتفعين.**

وعملياً كان الإعلام الديني في الغرب، وتحديداً في الولايات المتحدة الأميركية هو أول من ابتدع استخدام شاشات التلفزة لنشر الدعوات الدينية على مستوى جماهيري(٢). وبينما تتشارك وسائل الإعلام الدينية بعض الملامح والصفات المشتركة بصرف النظر عن موقعها الجغرافي او من يمولها أو ما تروج له من افكار وعقائد، فإن جزء منها يشكل حالات خاصة منفردة، اذ الملمح المشترك لوسائل الإعلام الدينية، لا سيما المتشددة منها، يتمثل في إحياء المعارك العقدية الدينية النائمة وبثها في الوجدان الشعبي، حيث تقوم وسائل الإعلام ببث وترويج مساجلات إزاء نزاعات وخلافات دينية عقدية كانت تتسم على الدوام بالنخبوية وبكونها محصورة في فئة رجال الدين، وهي معارك كانت بعيدة من اهتمام الناس العاديين، وانقضت وعفا عليها الزمن، يستفيد في الغالب منها رساميل الدين والسياسة والذين يقتاتون على خلافات شعوبهم وتناحرها.

الا ان هذه الصورة تتجلى اوضح، وربما اقبح، ما تكون في بعض وسائل الاعلام التي تعكس الواقع السياسي والاجتماعي لبعض المتنفذين او ما يطلق عليه (رساميل القنوات الإعلامية)، ثم تضيف إليه من إبداعاتها ’فتزيد الطين بلة، وتحول الاستقطاب إلى انشقاق فانقسام.

لهذا فان التحريف في الخطاب التجديدي بدا يطفو على السطح ولا سيما بعد احداث الحادي عشر من سبتمبر في اميركا حيث اصبح بعض الدعاة يتزلفون الى الاقطاع السياسي

---

(١) يرى الباحثان ان التجديد في الدين –بمعنى ان الله ﷻ يبعث كل فترة رجل يجدد امر هذا الين ويدافع عنه ويقمع البدعة ويحي سنن مندثرة او كادت، ويرد الناس الى الالتزام بأمر دينهم – فهو امر شرعي دلت عليه النصوص الشرعية وله ضوابطه وشروطه.

(٢) ينظر: الاعلام الطائفي، نجلاء اسماعيل، دار المعتز للنشر والتوزيع، ٢٠١٨م، ص ١٥٥.

ISSN: 2071-6028

الذين يشخصنون المنافع ويخطئون المخالف وما تمثله من بعد ارهابي معادٍ للإسلام، حيث تعمل ادواتهم في الاعلام العربي على تحريف الثوابت الدينية وزحزحة تلك الثوابت القيمية الاسلامية والعربية، ومنها الجهاد وما يعنيه، والحجاب واسباب تشريعه، وحقوق الانسان وجوانبه، كان الهدف منها السعي الى ارضاء شرههم المادي والسلطوي ومحاولة لاستعطاء العطايا والرضا عن انفسهم، كما عمل بعض الاعلام العربي والديني على تشويش الراي العام المسلم نحو قضاياه المصيرية وبناه العقائدية، فاصبح المواطن المسلم حائرا متخبطا في تقلبات الاعلام وتوجيهه للناس.

كما اصبح الاعلام العربي غير الملتزم بالضوابط الاسلامية اداة طيعة لتثقيف الشعب المسلم بضرورة اللحاق بالثقافة الغربية وطرح التراث الاسلامي خلف الظهر كونه يسحب المسلم نحو الرجعية والتخلف الديني والتخلف الحضاري.

وعلى ما تقدم فالعلاج هو بمعالجة وتصحيح ما تم التطرق اليه وعدم الربط بين التسلط السياسي على الاعلام الديني بل لا بد من ان تكون السياسة تسير بهدي التدين والشرائع دون التعليب الديني للشرائع بما يطلبه البائع السياسي للمستهلك (الشعوب) وهذا يكون بوتيرة مستمرة ولو بخطوات بطيئة وهو افضل من عدم التحرك ومحاولة فضح المتسلقين على قيم الاديان لمنافع سياسية ايا كانوا يمثلون ومن أي جهة ياتون فقال الحسن رحمه الله (أترغبون عن ذكر الفاجر؟ اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس)، فضلا عن محاولة توحيد المرجعية الدينية، وما يثمر عن هذا التوحيد في استقرار لفتاوى والخطاب الديني.

المبحث الثالث: تجديد الخطاب الديني ومقارباته التطبيقية على الواقع العراقي

المطلب الاول: تشخيص الحالة العراقية

تتحمل وسائل الاعلام العامة والمؤسساتية والخاصة دورا كبيرا في تحصين الفرد المسلم في العراق من خلال الميزة التاثيرية لهذه الوسائل والامكانيات اللامحدوة لها، وبما ان الامن الفكري يعد الهالة الاكبر للامن القومي والاقتصادي والغذائي وحتى السياسي، فلا بد ان تكون النية صادقة في تفعيل اسس ومرتكزات قيامه وديمومته.

لا يخفى على المراقب للخطاب الديني السياسي المنحدر إلى التحريض الطائفي المشاهد في القنوات الفضائية العراقية، والتي تعد المغذي الاول لفكر الفرد وما يمكن ان ينتجه من انعكاس سلبي على الواقع الاجتماعي للمواطن العراقي، ويمكن ملاحظة أثرها مباشرة في الشارع الذي لا تنقصه الفتنة الطائفية او التشدد الديني.

اذ اصبح الإعلام غير المتزن مساهماً بشكل مباشر في نشر الطائفية، والارهاب وتم توظيفه توظيفا ناجحا في هذا الجانب لا سيما اثناء التوترات السياسية، وهذا النوع من الصراع قد وجد طريقه الى الإعلام بسبب ما عُرف باسم "الربيع العربي" في الأوساط السياسية لسبب أو لآخر، اذ ان التوترات الطائفية ليست وليدة اليوم، فهي موجودة ومرفوضة منذ القِدَم، علما ان التطرف والعنف اصبح من ادوات الحكومات المتطرفة فلا استمرار لتطرف وعنف بلا سلطة تحميه وتساعد على انتشاره وهو امر تؤيده الشواهد التاريخية والحوادث المعاصرة. وهنا نحتاج لإنهاء كل ما مر الى سلطة قوية رشيدة، ثم ايجاد بيئة يتعايش فيها الجميع مع بعضهم بسلام، حيث أن مسؤولية ايجاد هذه البيئة لا تبدأ كما يعتقد البعض على المنابر الإعلامية والدينية وإنما من عناصر المعرفة الثلاثة وأرباب السياسة.

واذا اردنا بيان الحالة بصورة تطبيقية نراجع بعض القنوات الفضائية وما تمارسه من دور تاثيري على المشاهد المسلم من خلال اثارة النعرات الطائفية بالنيل من الرموز الدينية او الاعتداء على الشعائر المذهبية او الاستهانة بمكونات مذهبية او قومية وكل ذلك ينعكس بصورة وباخرى على الترابط الاجتماعي ويمثل ارضاً خصبة لنشوء الارهاب والتطرف وتكاثر اسبابه، ويتحتم على من يملك السلطة بضرورة اغلاق تلك الفضائيات او المحطات الاعلامية او تكميم تلك الافواه السياسية دون الالتفات الى قضية الحرية الاعلامية لان الحرية بمفهومها العام تتحدد (بان حريتك تقف عند ظهور حرية الاخرين) هدفا في مكافحة الجرائم المتمثلة بالتحريض على القتل والتصفية، بالرغم من وجود تكوينات اجتماعية تدعم هذه القنوات وتعمل على بثها من أماكن خارج نطاق القانون الاعلامي في اقل تقدير، حيث يرى عدد ليس بالقليل أن الوقت حان لوضع قوانين لإضافة المحتوى الإعلامي المتمثل بمواقع التواصل الاجتماعي وأيضاً اخضاعها الى القوانين العامة المعمول بها في الوقت الحالي في سلطة الإعلام الفضائي، والمشكلة هنا لا تتعلق بمجرد انحياز الى موقف سياسي او مدرسة ايديولوجية معينة على اساس موضوعي

يستنفر تبادلا ايجابيا للاراء والرؤى، وربما ابتكارا لمقاربات جديدة، ضمن دينامية فكرية مطلوبة في اي مجتمع حر، بل بما يمكن تسميته بالتدليس الاعلامي لخدمة اجندات ظاهرها الرحمة او الديمقراطية او الشرعية او غيرها من المصطلحات البراقة، وفي جوهرها التطرف او الارهاب.

وباسقاط ما تقدم على واقع 'تجديد الخطاب الديني في العراق، المستعر حاليا، نكتشف ان خطاب الكراهية المرتكز على طائفية سياسية او دينية اصبح سيد الموقف، وهو واقع يكاد ان يستحيل معه انجاز تسويات سياسية هي الامل الوحيد الممكن للخروج من الازمات، اذا ايقنا وبصورة لا تقبل الشك ان الشاب في ابعد اصقاع الارض يتعرض بشكل وبآخر للتاثيرات الطائفية المدفوعة سياسيا من قبل انظمة عربية، اذ ان الشاب في اقصى مكان بالعراق ينظر الى رجال الدين الظاهرين في الاعلام كواجهة تمثل الدين والمذهب الذي يعتنقه ومطبق لشرائعه ومفسر لمناهجه، وهو امر ليس بالغريب كون العرب يمارسون العورية على من يعتنق الاسلام من خلال شعائر الصلاة ومناسك الحج والتعاليم الدينية الاخرى، لذا فالصورة الاسلامية في البلدان العربية تنعكس بصورة متطابقة نوعا ما على المسلمين في كل مكان وليس في العراق فحسب.

المطلب الثاني: الخطاب الديني في العراق وانعكاسته على الامن الفكري.

استناداً الى ما سبق، يبدو أن وسائل الإعلام والمنابر الدعوية، وجدت مناخًا من الحرية المتاحة، تأثرت بالصراعات السياسية والطائفية من جانب، ولم تتمكن نتيجة لحداثة التجربة والتدخلات الخارجية من انتهاج مواقف تعبر عن الحيادية المطلوبة، وتبني خطابا وطنيٍا جامعا يقلل من حدة أخطر أزمة تواجه بناء الدولة، ممثلة في الطائفية من جانب آخر،على الرغم من أن مجمل الدساتير سمحت بحرية الرأي والتعبير، لكن ثمة مؤشرات عديدة تؤكد تداخل السياسي بالطائفي، سواء فيما يخص الاستهداف المتعمد للإعلاميين والصحفيين على أساس طائفي، أو فيما يتعلق بسوء استخدام الوسائل الإعلامية، لتكون معظمها بمثابة إحدى أدوات التوجيه السياسي المقصود خدمة لطائفة محددة دون اخرى.

لتبقى بذلك المشكلة الطائفية المتجذرة والواضحة ببعض وسائل الإعلام العربية، ليست انعكاسًا للصراع السياسي في الداخل فحسب، بل ان لها امتداداتٍ إقليميةً وأخرى دولية، تؤثر من خلال التمويل وتوجيه الرأي والحث على العنف؛ لتحقيق مكاسب ذاتية، وجميع ذلك بحجة التجديد للخطاب وتحديث مضمونه ومواكبته العصر ومعالجته مشاكل الواقع وغيرها من الحجج التي تبدو في ظاهرها الحق ولكن في حقيقتها الباطل، وجميع ذلك يحتاج الى معالجة جادة تبتعد عن التدليس في المفاهيم فليس التجديد هو التحييد وليس الخطاب الديني هو تلميع لسياسي او حزب او طائفة على حساب اخرى، وعليه يقتضي توافق الإعلاميين في العراق والمنطقة العربية على وضع مبادئ أساسية لتنظيم البث الفضائي، أبرز ضوابطها منع بث ما يؤدي إلى تأجيج

الصراعات والحروب الداخلية، أو تفتيت الوحدة الوطنية للدول، أو إثارة النزعات المذهبية والطائفية، وعدم تسييس الدين والتدين والعمل على ان تكون وسائل الاعلام الدينية متاحة للتراث الديني ككل دون اختزالها سياسيا وحزبيا لتكون بذلك الاعلام الديني السياسي، والذي يتقلب ويتشكل بناءً على رغبات رجل السياسية والذي يعمل بفن الممكن وهو ما يتقاطع مع النصوص المقدسة التي يستند عليها الاعلام الديني من دعوة ونشر الفضيلة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والابتعاد عن الغيبة، واثارة النعرات والتكتلات الطائفية والقومية.

وعليه فيمكن ان يلعب تجديد الخطاب الديني لا سيما الاعلام الجديد وما يحتويه من برامج وقوالب فنية مؤثرة دورا لا يستهان به في تحصين الشاب المسلم فكريا وعقائديا ،كون الوسائل التي يمكن ان تسهم في تحصين الفرد لا تخرج عن الوسائل السمعبصرية او التفاعلية او التحريرية او الاذاعية وحتى الشفوية ولكل منها ادوات للتاثير ولكل منها مستقبلين ورواد يقبلون عليها ،لذا فاهم ما نحن بحاجة اليه في الوقت الراهن في اعلامنا وخطابنا الديني:

١. بيان أن التطرف وهشاشة الامن الفكري لم يات من فراغ بل يستند على فكر له منظروه ومروجوه ومخططوه ولا يمكن مواجهته باقتلاعه ماديا وجسديا فحسب بل نحتاج الى فكر مضاد يؤمن به الفرد كبديل انجع وامضا في تحقيق مطالبه واسترداد حقوقه، وتكون الوسائل الاعلامية اذرعه والرسائل الهادفه سلاحه والمحتوى المعتدل عتاده .

٢. تفكيك الخارطة الذهنية ذات الاصول المتطرفة والتي اسهم الاعلام الافتراضي في تجذيرها في عقول وقلوب الشباب العربي والمسلم من خلال تجفيف منابع تلك الاصول بتعرية مرتكزاتها وتفنيد ارائها واسسها.

٣. العمل على ارجاع اهمية الاقلمة الحقيقية للشعوب العربية الاسلامية ومحاولة بيان خطورة الاقلمة الافتراضية للشعوب وتاثيراتها السلبية على السياسات الحكومية اقتصادياً، وثقافيا، واجتماعياً.

٤. توحيد المرجعية الاعلامية الدينية، وما يثمر عن هذا التوحيد في استقرار لفتاوى والخطاب الديني المعاصر .

٥. العمل على استقلالية القنوات الدينية من التاثيرات السياسية والحزبية.

٦. شمول جميع القنوات الحزبية والسياسية لضوابط اخلاقية يتم الاتفاق عليها دوليا وليس محليا.

٧. الاتفاق على ميثاق شرف اعلامي يتم الاتفاق فيه على ضبط الاعلام الديني بضوابط اشد من الاعلام السياسي او التجاري لخطورته وتاثيره على المجتمعات سياسيا وافتصاديا وثقافيا.

٨. تجريم القنوات ومن يمولها بجريمة (الارهاب الفكري) في حال اذاعة او نشر ما يدل على تاجيج طائفي او اثارة لمسائل خلافية تشق الصف الوطني للدول.

٩. الاتفاق على عدم نشر أي منشور مرئي او سمعي او تحريري او شفوي يفسر بانه استهانة او نيل من طائفة على حساب طائفة وتجريم تصوير حالات التعذيب التي تمارس ضد المعتقلين والاسرى داخل البلد الواحد كونها من عوامل التطرف وزعزعةالامن الفكري والتخندق المذهبي وتشظية الشعوب ديمغرافيا

١٠. الاهتمام بالمراكز البحثية التي تهتم ببناء العقلية الاسلامية والعربية المعاصرة لاسيما المراكز التي ترعى صناعة الراي العام العربي ومحاولة تجنيد افكار باحثيها من اجل اعتمادها كاستراتيجية حقيقية لمحاربة التطرف والارهاب لما لهذه المراكز من دور تاثيري مهم بوصفها مطابخ سياسية ودكاكين للمفكرين والمبدعين.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والصلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين.

ان التجديد في الخطاب الديني من الضروريات الفكرية في هذا الدين، لكن هذا التجديد لا يعني تغيير احكام الدين او تبديلها لتلائم امزجة الناس وعقولهم . واما هو إزالة الغبار عن الفهم السليم للأحكام واماتت البدع ونشر السنن وايقاد شعلة الدين في نفوس الناس بعد ان لحق بها الافول والابتعاد عن منهج الله عز وجل

والتجديد في الخطاب الديني موجة ركبها الكثير من أعداء الدين الذين يعيشون حالة الانهزام النفسي امام بهرج الحضارة الغربية ويلقون باللائمة على الدين على أساس انه سبب تأخر الامة او ممن يعتاشون ويقتاتون على لي اعناق المفاهيم الدينية لتلميع اتجاهاتهم

أن العقيدة الإسلامية هي الركيزة الأساسية والوحيدة لبناء الفرد وتربية المجتمع، و طبيعة هذا الدين صلبة، وخطابه واضح لا يقبل التمييع، ولا يحتمل التلبيس، والذين يحاربون هذا الدين يجدون مشقة في تحويله عن طبيعته الواضحة، لذلك فإنهم يوجهون إليه جهوداً لا تكل، وحملات لا تنقطع، ويستخدمون في حرفه عن جهته وفي تمييع طبيعته كل الوسائل، وكل التجارب.

والتجديد بجانبه التحريفي مر بمراحل عدة منها العصرانية والعلمانية مرورا بالتغريب .

فبعد اكمال البحث بصورته النهائية لا بد لنا من شكر الله تعالى على توفيقه لنا، ومن خلال ما ذكرنا في هذا البحث توصل الباحثان الى نتائج عدة نذكر اهمها:

١. هنالك كثيرا من التحريف يقع على الغايات الحقيقية لدعاة التجديد في الخطاب الاسلامي منها سياسية او شخصية او اقتصادية لانه عندما يشيع الجهل في مجتمع تصبح التجارة في الدين هي الرائجة .
٢. التجديد لا يعني التحديث او التطوير بل هو اعادة نفض الغبار من فوق الاسس الدينية التي غلب عليها تلك التحريفات والتمويهات.
٣. التجديد يستدعي من الدعاة تهيئة متطلبات العصر بما يتوافق مع روح الاسلام دون التميع او المداهنة لاي جهة سياسية او فكرية او مذهبية.
٤. التحريف يقع في الخطاب الديني اذا كان الدعاة غير صادقين النية مع الله وكانوا تبع للسلاطين في افكارهم وانتماءاتهم.
٥. الخطاب الديني غذاء للامن الفكري وبه يعتاش ويستمر لان الدين بوصفه ايدلوجية فطرية لدى الانسان السوي هو المثبت للانسانية وما يستتبعها من قيم نبيلة.
٦. السياسة تتكئ على الخطاب الديني بوصفه محرك للراي العام لمجتمع العراق لأنه مجتمع متدين بالفطرة، لذا فاستقرار امنه الفكري والاقتصادي والعسكري مرهون باستقرار خطابه الديني.
٧. الدين اسسه ثابته متينه لا تداهن ولا تنافق اما السياسة فاسسه مميعة تتقولب حسب الممكن والمصالح لهذا فمن الخطأ تجيير الدين ليكون خادم للسياسة بل وجب العكس.

قائمة المصادر

١. ادعياء التجديد مبددون لا مجددون: علي العماري، القاهرة مكتبة وهبة، ١٩٩٤م.
٢. الإرهاب التشخيص والحلول، عبد الله بن الشيخ محفوظ بن بيه، مؤسسة الريان، ط٢، ١٤٢٦هـ.
٣. الاسلام وأصول الحكم، علي عبدالرزاق، القاهرة ط١، ١٣٤٣هـ-١٩٢٥م.
٤. العرب وتحديات النظام العالمي، إسماعيل صبري عبد الله، سلسلة كتب دراسات الوحدة العربية، رقم ١٦، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩م.
٥. الاعلام الطائفي، نجلاء اسماعيل، دار المعتز للنشر والتوزيع، ٢٠١٨م.
٦. اعلام الموقعين، ابن القيم، مكتبة دار الرسالة الإسلامية، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠١م.
٧. الأمن الفكري: المفهوم، التطورات، الإشكالات، د. إبراهيم الفقي، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري بتاريخ ٢٢-٢٥ جماد الأول، ١٤٣٠هـ. كرسي الأمير نايف لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود.
٨. الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني، محمد شحاته الخطيب، بدون دار نشر، ١٤٢٦هـ.
٩. تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، محمد بن شاكر الشريفي.
١٠. تجديد الخطاب الديني ضرورة معرفية، الدكتور نصر حامد أبو زيد، مجلة مركز الكاشف للدراسات، العدد الثالث، ٢٠٠٦م.
١١. التراث والتجديد، موقفنا من التراث، حسن حنفي، مطبعة التراث، القاهرة، ط٢.
١٢. الخطاب الديني بين التجديد والتبديد، د. جمال نصار، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، ٢٠١٥م.
١٣. رفاعة رافع الطهطاوي، جمال الدين شيال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠م.
١٤. سوسيولجية العنف والإرهاب، ابراهيم الحيدري، دار الساقي، ٢٠١٧م.
١٥. الأصولية في مواجهة الكونية، السيد يس، مجلة المنتدى، منتدى الفكر العربي، الأردن، العدد ١٠، ١٩٩٤م.
١٦. شرح صحيح مسلم للإمام النووي، دار الخير، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ.
١٧. فقه الواقع بين النظرية والتطبيق، علي بن حسن بن علي الحلبي، مطبعة النور فلسطين، ط٣، ١٤٢٠هـ.

ISSN: 2071-6028

١٨. المفهوم الأمني في الإسلام، علي فايز الجحني، مجلة الأمن. الصادرة من وزارة الداخلية، العدد ٢، ذي الحجة، ١٤٠٨هـ.

١٩. موسوعة الويكيبيديا، موقع على شبكة الانترنت:

www.wikipedia.org/wiki%d8%b7%

٢٠. موقع مجلة رسالة الإسلام على الشبكة العنكبوتية:

http://www.islammessage.com/ar/modules.php?name

٢١. نحو خطاب دعوي معاصر ومتجدد، د. إسماعيل الحكيم، بحث مقدم إلى وزارة الأوقاف السودانية، الملتقى التنسيقي السابع للوزراء المعنيين بالدعوة لعام ٢٠١٢م